

د. مصطفى

الرفاعي

الدولة والقطاع الصناعي الخاص

إن سياسة فتح الباب على الغارب للاستثمار الأجنبي ستدى إلى سيطرة الأجانب على كثير من المؤسسات المالية والصناعات الاستراتيجية.

إذا لم يرق نظام فتح الباب على الغارب للاستثمار الأجنبي فما هو البديل؟ لا جدال أن الهدف هو زيادة معدلات التنمية وأن التنمية تحتاج إلى استثمارات لكنها تحتاج أيضاً إلى ما هو أهـم مما لا يرد ذكره.

فمن أين تأتـى الاستثمارات والأموال إذا كانت الدولة توقفت عن الاستثمار في الصناعة اتباعاً لسياسة التحول من النظام الاشتراكي الشمولي إلى النظام الرأسمالي. عقدت الأمـال على مجموعة من رجال الأعمال تبنـتها الدولة وراهنـت عليهـا وقدـمت لها أراضـى وتمـويلاً من أموال المودعين بالبنـوك وشـيدـت لـنا البنـية التـحتـية أـتـى هـذـا التـوجـه بـنتـائـجـ طـبـية لـفـترة مـعـيـنةـ، ما حـدـثـ بـعـدـ ذـلـكـ لـمـ يـكـنـ متـوقـعاـ وـأـدـىـ إـلـىـ ماـ أـفـقـدـ هـذـاـ القـطـاعـ الخـاصـ الوـطـنـيـ الكـثـيرـ مـنـ مـسانـدةـ الشـعـبـ، كـمـ أـنـشـأـ حـيـرةـ وـقـسـاؤـاـ لـعـنـ مـوـضـوـعـيةـ استـقـمـارـ الـدـوـلـةـ فـىـ دـعـمـ القـطـاعـ الخـاصـ وـتـشـجـعـهـ بـالـحـوـافـزـ وـالـإـعـفـاءـاتـ عـلـىـ حـسـابـ مـيـزـانـيـةـ الـدـوـلـةـ التـىـ تـحـتـاجـ إـلـىـ إـصـلـاحـ.

وـزـادـ مـنـ ذـلـكـ اـمـتـنـاعـ بـعـضـ رـجـالـ الـأـعـمـالـ وـالـصـنـاعـةـ عـنـ سـدـادـ أـقسـاطـ الـقـرـوـضـ الـتـىـ وـفـرـتـهـ لـهـمـ بـنـوكـ الـدـوـلـةـ بـمـوـقـفـ هـذـهـ الـبـنـوكـ الـتـىـ تـضـمـنـهـ الـدـوـلـةـ.

هـذـاـ القـطـاعـ الخـاصـ كـانـ لـهـ مـطـالـبـ دـائـمـةـ مـنـ الـدـوـلـةـ إـعـفـاءـاتـ، مـنـحـ، أوـ تـيـسـيرـ فـيـ الإـجـرـاءـاتـ، بـعـضـ الـمـطـالـبـ مـحـقاـ فـيـهـاـ، فـيـ ذاتـ الـوقـتـ لـمـ يـكـنـ القـاطـعـ الخـاصـ مـرـحـباـ بـدـورـ قـيـادـيـ للـدـوـلـةـ، مـعـتـبرـاـ ذـلـكـ تـدـخـلـاـ مـرـفـوضـاـ، وـبـهـذـاـ غـابـ عـنـ هـذـاـ القـطـاعـ الـمـهـمـ هـذـاـ الدـورـ الـقـيـادـيـ الـمـخـطـطـ وـالـمـنـظـمـ وـالـمـنـسـقـ، وـلـمـ يـحـدـثـ الـالـتـحـامـ الـلـازـمـ لـحدـوثـ نـهـضـةـ صـنـاعـةـ وـهـوـ التـحـامـ كـانـ يـجـبـ أـنـ يـضـمـ الصـنـاعـةـ وـالـحـكـومـةـ وـالـمـؤـسـسـاتـ الـمـالـيـةـ طـبـقـاـ مـيـثـاقـ يـلتـزمـ بـهـ جـمـيعـ الـأـطـرافـ.

وـفـيـ ظـلـ ظـرـوفـ تـدـخـلـ القـوـىـ الـأـجـنبـىـ وـاـخـتـرـاقـ بـعـضـ صـفـوـفـ الصـنـاعـةـ نـشـاتـ تـحـالـفـاتـ مـصـالـحـ بـيـنـ الـدـوـلـ وـالـشـرـكـاتـ الـأـجـنبـىـ وـبـعـضـ كـيـانـاتـ القـطـاعـ الخـاصـ يـحـكـمـهـ تـبـادـلـ الدـعـمـ وـالـمـنـافـعـ، وـزـادـ مـنـ ذـلـكـ مـنـ تـرـاجـعـ الـدـوـلـةـ عـنـ قـيـادـةـ أـبـوـيـةـ تـخـتـصـ بـالـرـعـاـيـةـ إـلـىـ سـلـطـةـ تـبـغـ تـحـسـينـ مـوـارـدـهـاـ مـنـ الـأـنـشـطـةـ الـاـقـتـصـادـيـةـ الـمـخـتـلـفـةـ.

وـهـوـ مـاـ حـدـثـ فـيـ قـانـونـ الضـرـائبـ الـجـدـيدـ الـذـىـ الـغـىـ إـعـفـاءـاتـ المـدـنـ وـالـمـنـاطـقـ الصـنـاعـةـ وـالـمـنـاطـقـ الـحـرـةـ وـالـمـنـاطـقـ النـائـيةـ إـلـىـ إـغـاءـ الـإـعـفـاءـاتـ لـمـ يـدـلـ عـلـىـ اـسـتـثـمـارـ سـيـاسـةـ تـشـجـعـ الـأـسـتـثـمـارـ فـيـ الصـنـاعـةـ وـفـيـ تـعـمـيرـ الـمـنـاطـقـ الـنـائـيةـ وـتـسـهـيلـ الـأـسـتـثـمـارـ فـيـ التـعـدـينـ، وـلـلـأـسـفـ فـيـ إـنـ إـغـاءـ الـإـعـفـاءـاتـ صـبـ فـيـ مـصـلـحةـ الـدـوـلـ الصـنـاعـةـ الـمـنـافـسـةـ لـلـصـنـاعـةـ الـمـصـرـيـةـ وـلـهـذـاـ نـظـرـ إـلـىـ صـنـدـوقـ الـنـقـدـ الـدـوـلـيـ بـعـدـ الرـضـاـ.

وـتـزـامـنـ ذـلـكـ مـعـ اـتـجـاهـ رـجـالـ الـمـالـ وـالـصـنـاعـةـ وـالـأـعـمـالـ، وـكـلـهـ مـرـادـفـاتـ، إـلـىـ النـزـولـ إـلـىـ حـلـبـةـ السـيـاسـةـ وـإـلـىـ التـحـالـفـ معـ السـلـطـةـ وـاـخـتـرـاقـهـاـ، رـبـماـ حـقـقـ ذـلـكـ النـفـعـ لـبعـضـ رـجـالـ الـأـعـمـالـ إـلـاـ أـنـهـ أـضـرـ بالـصـنـاعـةـ الـوـطـنـيـةـ عـمـومـاـ، كـمـ أـنـهـ لـمـ يـفـدـ صـغارـ الصـنـاعـةـ الـذـيـنـ لـمـ تـمـكـنـهـ ظـرـوفـهـمـ مـنـ الـمـشارـكـةـ فـيـ هـذـهـ الـلـعـبـةـ، وـلـمـ يـجـدـواـ مـنـ اـتـحادـ الصـنـاعـاتـ الـمـصـرـيـةـ الـعـونـ المـنشـودـ، لـأـنـ الـاتـحادـ اـخـتـارـ طـرـيقـ

وـأـغـتنـامـ ظـرـوفـ تـرـاجـعـ دـورـ الـدـوـلـةـ وـتـعـرـضـهـاـ لـضـغـوطـ سـيـاسـةـ خـارـجـيـةـ، وـفـيـ سـبـيلـ ذـلـكـ أـنـفـقـواـ أـمـوـالـ لـتـسـيـطـرـةـ عـلـىـ الـإـعـلـامـ.

وـإـذـاـ كـانـ جـمـيعـاـ نـنـحـنـىـ إـجـلـالـاـ لـطـلـعـتـ حـربـ مـؤـسـسـ بنـكـ مـصـرـ وـشـرـكـاتـهـ الصـنـاعـةـ وـالـاـقـتـصـادـيـةـ وـأـوـلـ قـاعـدـةـ صـنـاعـةـ وـطـنـيـةـ وـأـحـدـ أـهـمـ رـمـوزـ الـرـاسـمـالـيـةـ الـوـطـنـيـةـ فـيـ نـمـوذـجـ طـلـعـتـ حـربـ وـفـرـ الـأـسـتـثـمـارـاتـ لـلـصـنـاعـةـ مـنـ أـمـوـالـ الـمـصـرـيـنـ كـبـيـكـ اـسـتـثـمـارـ يـخـتـلـفـ كـثـيـرـاـ عـنـ النـمـوذـجـ الـذـيـ نـرـاهـ لـآنـ، فـطـلـعـتـ حـربـ لـمـ يـمـتـلـكـ بنـكـ مـصـرـ وـشـرـكـاتـهـ وـلـمـ يـسـعـ إـلـىـ ثـرـاءـ شـخـصـيـ أوـ سـلـطـةـ سـيـاسـيـةـ، وـلـكـنهـ اـتـبـاعـ لـلـحـكـمـةـ الـمـاثـورـةـ، لـكـلـ عـملـ رـجـالـ، فـلـلـسـيـاسـةـ رـجـالـ، وـلـلـمـالـ رـجـالـ، وـمـنـ يـخـلطـ بـيـنـ عـملـ وـعـملـ اـخـتـلـطـ عـلـيـهـ الـأـمـرـ وـالـتـوـىـ عـلـيـهـ الـقـصـدـ وـأـفـلـتـ مـنـهـ سـرـ النـجـاحـ.

بـعـدـ مـرـورـ ٧٣ـ عـامـاـ اـنـصـرـفـنـاـ كـلـيـةـ عـنـ اـتـبـاعـ هـذـهـ الـحـكـمـةـ الـمـاثـورـةـ كـمـ اـنـصـرـفـ كـثـيـرـاـ مـنـ الـمـصـرـيـنـ عـنـ مـصـالـحـ الـوـطـنـ العـلـىـ.

وزـيرـ الصـنـاعـةـ وـالـتـنـمـيـةـ التـكـنـوـلـوـجـيـةـ الـاسـيقـ